طبوله وعبّى عساكره في هيئة الحرب واجرى الة صورة حرب الظهر واجرا شجاعتهم وتأثير
قوة اسلحتهم وكيفية استعمالها في ايديهم وكذلك الخيالة والخيول ووجهوا افخام المدافع نحو
الغابات والاورمانات الكثيفة واطلقوا نيرانها وهدموا فاتها بين الاشجار ففزع المكسيكيون
من طلق نيران المدافع ودوي اصوات مقذوفاتها في الجو وفيما بين الاشجار ووقعوا على
وجوههم فوق الارض ونالوا من الهيبة ناس قوتهم تماثل قوة الالهة حتى اسكن قورطيس
روعهم وصرفهم بالملاطفة ورخروا بالرسم والنقول كافة ما رأوه في معسكر قورطيس وارسلوا
هذه النقارير مع معتمدهم من طرفهم الى الامبراطور منتظومه مع توضيح وبيان كل شيء وقع
في الماضي من عهد وصول الاسبانيين الى ساحل بلادهم وارسل قورطيس هدية من التحف
الاوروباوية الى منتظومة فقولوا انها كانت دون القيمة الا انها قبلتها مع غاية الفرح
بسبب ندرتها عندهم ولاجل يشر ملك المكسيكيين على كافة الاخبار اول باول من كل جهة
جهات مملكته الواسعة اوفق طريقة في توصيل الاخبار اليه مع السرعة كانت غير معروفة في جهات
اوروبا وذلك انه رتب محطات للسعاة في طول السكك السلطانية المشهورة على ... فاصل
من بعضها توصل لبعضها كل ما يقع من الحوادث مع السهولة حتى تصل الى الملك مع غاية السرعة
وكانت العاصمة المقيم فيها منتظمه او منتظومه على مسافة تنوف عن ١٨٠ ميل من مستعمرة
جوانه عولوه فوصلت هدية قورطيس الى العاصمة ومن بعد مضي بضع ايام تلقى جواب
طلباته وذلك ان الى كيش دخلا معسكر قورطيس مع مائة من الهنود حاملين الهدايا
التي وصلت اليهم من ملكهم على ذمة قورطيس من اجل تسليمها اليه وبما ان تلك الهدية
واصلة من طرف الملك فرغب قورطيس مؤرية ثروة البلاد وغنية اهلها وملكها
للاسبانيين فوضعت على حصر فرشت على الارض ونظر قورطيس وضباطه وعساكره بغيض
الاستغراب والاندهال لاصناف مشغولات القطن الظريفة الناعمة وهيئات اشغالها
المختلفة وما نقلوها لمشغولات الجواهر وما عليها من صور الحيوانات والاشجار والاشياء
الطبيعية الاخرى والذي زاد اندهالهم واستغرابهم فوق كل شيء رؤيتهم صحنا كبيرا
مستديرا واحدا من الذهب النقي في هيئة الشمس واخر من الفضة النقية في صورة القمر
مع هذين الصحنان قلائد وخواتم وخلخال واشيا اخرى مصنوعة من الذهب وعلب
ملانة باللولو والياقوت والاحجار النفيسة وحبوب الذهب الخشم الموجود في المعادن
او في الانهر ولما استلم قورطيس هذه الهدية اخبراه ان ملكهم ولو انه رغب قبول ما
ارسل فيه مراعاة في حب وداد الملك المرسول من طرفه الا انه لا يرضى قبول قرب عساكر
غريبة من عاصمته مطلقا او يسمح لهم بطول المقام في مملكته فاجابهم القايد الاسبانيولي
بجواب اشد واقوى من الاول وانه ما زال مصر على طلبه الاول بما انه لا يمكنه العود
مع الخجل والعار الى بلاده الا من بعد وصوله الى الامبراطور الذي تعين لزيارته من طرف
مليكه فانذهل المكسيكيون مما رأوه منه رجلا يجاسر جسارة كبيرة في مقاومة اوامر الملك
المعقودين على عدم مخالفتها او صدها ومنع وطافوا على ارضهم وبلادهم من قسطاطين الف
فيها من اعداء مجهولين مثل هولاء ثم وعدوا قورطيس بانه لا يتحرك من معسكره حتى يرسلوا
رسلا من طرفهم الى الامبراطور منتظومه ويأمرهم بما يلزم اجراه وكانت مملكة المكسيك
في هذا الوقت في سعة زايدة واما هذه المملكة على حسب روايات اهلها موجودة من
عهد ١٣٠ سنة واحكامها ممتدة من الشمال الى الجنوب على ارض تنوف امتدادها عن
خمسماية فرسخ من الشرق الى الغرب وتنوف عن ماين فرسخ من الشمال الى الجنوب ومشتملة
على عدة مداين عامرة محكومة بقرانين مدينة حافظة للحياة والتجارة وبها سكك وطرق
وموصلات محكمة وتجارات ومعاملات بين اقاليمها المختلفة وبعضها وهياكلها واشغال
عمارتها ومبانيها مشهورة بعظمها وظرافة اشغالها ونقوشاتها وبها الصنايع ولذة
المعايش ورفاهية اهلها في حالة دوامية ومشتملة على اقاليم ليست اقل في الغنية والخصوبة
والسكان من اعظم مملكة في المنطقة الحارة واهلها اهل حرب وشجاعة وجسارة وملكها
مستقل في احكامه وايراداته وافرة فلو كان منتظوم جمع قواه على حين غفلة الموجودة
في مملكة جيرانه هذه وسقطها على الاسبانيين وهم معسكرين في معسكرهم على
البحر خاليين من ما هو لهم وليس لهم جهة ينتظرون اليها ولا عندهم مؤنة كافية لهم فكان
يستحيل عليهم حتى مع وجود اسلحتهم وانتظام حركة عسكرهم مقاومتهم هجومهم وكان لا بد من
هلاكهم

ج ٤ ص
تاريخ امريقة
البحر الزاخر
محمود فاضل

هلاكهم او لا اقل من كلهم حتى عن اخرهم وبسبب ما كان به جنه منتظومة من القوة والنفوذ
المطلق في احكامه في بلاده لما ورد اليه الرسول من المعسكر الاسبانيولي واخبره بانه قورطيس
ما زال مصر على طلبه الاول ورفض قبول طاعة الملك وعدم ترك البلاد امتلا جسمه
بالغضب وتغيرت حالته من مقاومة امره وامر بذبح هولا الناس وتقريبهم قربانه
للالهة ثم عاد اليه في الحال ارتيابه وخوفه وبدل ان ينفذ مفعول ما امر به جمع وزراه
واستشارهم فيما يكون وكانت نتيجة مداولتهم عود المخابرة معه بالثاني في ترك البلاد وتوجهه
لحال سبيله فاصحب الامبراطور هذا البلاغ بهدية عظيمة ذات قيمة كبيرة منقوبة جديدة
لقورطيس واتباعه بالطمع في مملكته والبقا فيها زيادة على ما كان عليه من قبل الى طوطيل
لاجل تسليمها الى قورطيس مع البلاغ المرسول اليه من طرف الامبراطور ووصل طوطيل مع
الهدية وسلم قورطيس الامر القاطع بالسفر حالا من بلاده وطلب قورطيس انه لا بد من
مقابلته مع الملك قبل نفاذ هذا الامر وخرج طوطيل المكسيكي مع غاية الانتهال و
الاستغراب والذل والمسكنة من معسكر قورطيس وفي صباح اليوم الثاني ما ظهر احد من
اهل البلاد الذين كانوا تعودوا على الدخول في المعسكر افواجا من اجل الاخذ والعطا
والبيع والشرا مع العسكر الاسبانيولية وجلب ما يلزم لهم وانقطعت كافة المعروفات الوقتية
وصار الاسبانيولية ينتظرون في كل وقت وقوع المطاردات والمحاربات وشرع قورطيس في
تشييد وقيام مستعمرة على اساس حل وجمع وجوه الناس الموجودين معه في معسكره وانتخبوا
لهم رئيسا وتوابا قلدوه حكومة انفسهم وصار الحاكم والمجلس باسم الملك لا باسم قورطيس
ثم حاكم فخريه وسمى قورطيس مستعمرته الصغيرة الجديدة باسم مدينة الصليب الحقيقي الغنية
ووفد على قورطيس في السر والخفية بعض من الهنود القريبين من معسكره فوجدهم انهم
مرسولين برسالة ودية حبية من طرف ملك زمبوله مدينة كبيرة ليست على مسافة
بعيدة من معسكره فسألهم في عدة مسايل كما كانت عادته وعرف منهم اجوبتهم ان ملكهم
ولو انه تحت طاعة المملكة المكسيكية الا انه قلق من احكامها وكره منتظومه وحكمه و
صار لا طاقة له على شيء الا قبول قورطيس حامي له ومخلصه مما هو واقع فيه من الجور
ان نزل عليه من احكام منتظومه فلما سمع قورطيس هذه المادة شعشع شعاع الصفوا
والامل في عقله ورأى ان المملكة الكبيرة المزمع على الغارة عليها ليست في اتحاد تام ولا
محبة لملكهم عندهم واستنتج ايضا ان هذا النفور ليس موجودا في اقليم واحد فقط بل
ولا بد من وجوده في جهات كثيرة مختلفة فاحتفل باهل مدينة زمبوله ووعدهم زيارة
ملكهم وعين بعض من ضباطه في كشف اراضي فاكتشفوا قرية اسمها كابشلان على
مسافة نحو اربعين ميلا في الجهة الشمالية وبنسبة خصوبة ارضها وموافقة مينائها راوا
انها موقع يوافق للمستعمرة احسن من معسكرهم فعزم قورطيس على الانتقال اليها وكانت
مدينة زمبوله واقعة في طريق سيره فقابله فيها ملكها مع الاحتفال والترحاب واهداه
هدايا نفيسة من اجل توجيه التفاتاته اليه وعرف منه الصفات والاوصاف المخصوصة
بالامبراطور منتظومه والاحوال التي صيرت احكامه مبغوضة وقال له ملك الهنود ودموعه
تجري على خدوده ان منتظومه رجل طاغية جبار متكبر عنيف مرتاب جاري معاملته
مع رعاياه مع الغلظة فخرب البلاد وهتك حرمة العباد فيقتال منهم اولادهم وبناتهم
فيقرب الاولاد للالهة ويجعل البنات سراري وحاشا له فقال له قورطيس ان هذا الطلب
كبير على الاسبانيين في توجيههم اراضي ناحية بعيدة عن بلادهم ولا يمكنهم زوال ما عند
اهل البلاد من الضجر وتحمل العنا وخلاصهم من المصايب والاهوال الحايقة بهم فقواه
ملك زمبوله على اعماله واماله في الوقت الذي يلزم فيه المساعدة له ثم استمر قورطيس
في سيره نحو كابشلان فوجد البقعة التي اخبر بها اصحابه جيدة الموقع وعظيم الانتخاب
فرسم في الحال قطعة ارض من اجل انشا مدينة وشيد فيها الاقصاص واقام حولها
المتاريس والاستحكامات المتوجة لصد جيش الهنود في وقت هجومه وبمساعدة هنود
زمبوله وكابشلان صارت المستعمرة في اقرب وقت تدافع عن نفسها وتحافظ على سكانها
واهلها وفي مدة اشتغال قورطيس بهذه الاشغال المهمة تقابل عدة مرات مع ملكي
هنود زمبوله وكابشلان واورى لهم ما عليه الاسبانيين من القوة وان عساكرهم
لا غالب لها فدخلا تحت حمايته وخلعوا طاعتهم للحكومة المكسيكية ولما جاهم بعض حكام
منتظومه من اجل جباية الخراج المضروب عليهم وطلبوا منهم عدة قربانات جريمة على حكم